الاحتلال الرومانـي ومقاومتـه

التعريف بالرومان:

كان مهد الحضارة الرومانية شبه جزيرة الأبنين(إيطاليا حاليا) في وسط البحر المتوسط التي تشكل مع صقلية جسرا طبيعيا بين أوروبا وإفريقيا وقد كانت إيطاليا مهجرا لأبناء الحضارات القديمة، وملتقى للتأثيرات الحضارية الفينيقية والقرطاجية واليونانية والهيابنسيتية، وإيطاليا عبارة عن شبه جزيرة تمتد من جسم القارة الإفريقية في حوض البحر المتوسط وتقسمه إلى قسمين شرقي وغربي، حيث يقع إلى الشرق منها بحر الأدرياتيك الذي تشكل اليونان حدوده الشرقية، وينفتح البحر المتوسط إلى الغرب منها إلى سواحل إسبانيا وتتناثر فيه الجزر العديدة منها: كورسيكا وسردينيا، وجزر البليار، ومن مجتمع زراعي صغير بدأ في شبه الجزيرة الإيطالية في القرن التاسع قبل الميلاد إلى أن أصبحت حاضرة عظيمة بسطت سيطرتها حول معظم بلاد البحر الأبيض المتوسط.(1)

أما عن أصل سكان اليونان فقد ذكر ابن خلدون أن اللطين من أبناء يافث بن نوح، وذكر في أبناء يافث يونان وماغوغ، ثم اختلف نقله في نسبة اللطين إلى يونان او ماغوغ، ونقل عن الإسرائليين أن يونان كان من الولد أربعة وهم: داوود وأليشا وكيتم و ترشيش، وأن كيتم من هؤلاء الأربعة هو أبو الروم والباقي يونان. (2)

وقد عرفت حياة الرومانيين بالبساطة والبدائية، فقد كان اعتمادهم الأكبر على الزراعة، وظلت فيهم هذه البساطة إلى أن استولوا على أوطان غيرهم فبقوا يشتغلون

في الفلاحة ولم يتطوروا وينفتحوا على التجارة والفن وغيرها...وكانت مساكنهم من طين وخشب وبعدها من حجارة لا نوافذ فيها لجهلهم بصناعة الزجاج.

ولم يزل الرومان كذلك على بساطة حياتهم حتى فتحوا البلدان واستولوا على الأمم، وأقاموا على ظهرانيهم وطالت معاشرتهم لهم، إذ ذاك تأثر الغالب بالمغلوب وجاراه في حياة النعيم والرفاهية، وفي الحقيقة أن المغلوب لايؤثر في الغالب وإنما أثرت تلك الأمم في الرومان لأنهم مغلوبون لها في العلم والحضارة. (3)

التوسع الروماني:

يعتبر القضاء على قرطاجة عام 146ق.م من أبرز مظاهر السياسة التوسعية التي انتهجها الرومان إزاء شعوب البحر الأبيض المتوسط، وكان لهذه السياسة جذور عميقة في تاريخ الرومان، ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد وقد اتصفت الحركة التوسعية الرومانية في مراحلها الأولى بالبطء والتدرج، لكنها تسارعت مع الزمن وعظمت آثارها الاستعمارية ويمكن تشبيهها مجازيا على أنها عبارة عن عملية ابتلاع بطيء للجيران في إيطاليا، تحول إلى سرعة في الإزدياد إبتداء من الحروب البونية الأولى والثانية، حيث أدت إلى مكاسب إقليمية هامة حصل عليها الرومان خارج شبه الجزيرة الإيطالية، فتمكنوا من السيطرة على شعوب البحر الأبيض المتوسط الغربي بعد أن تم لهم تحطيم دولة قرطاجنة في الحرب البونية الثالثة. (4)

وتميزت السياسة الرومانية في شمال إفريقيا بخصائص يمكن إيجازها فيمايلي: (5)

1- إشعال نار الفتنة بين رؤساء القبائل البربرية ومناصرة الموالين لها إذا اقتضى الأمر.

2- الاستعانة برؤساء البربر لمحاربة خصوم روما وإقناعهم بأن يخدموها ويعينوها على تكسير شوكة المناهضين للهيمنة الرومانية.

3- الاعتماد على الجنود الذين كانوا يتقاضون رواتب قيمة سواء في إقامة المدن وبسط النفوذ الروماني أو حماية الأراضي المحتلة عن طريق الغارات الخارجية.

4- إقامة أنظمة حكم محلية تتكفل بتطبيق القوانين وتمويل الخزينة الرومانية بالأموال الضرورية لخوض الحروب، وتقاسم الثروات بين العائلات الأرستقراطية في روما .

1/ عوامل ودوافع الغزو الروماني لبلاد المغرب:

إذا ما نظرنا إلى أسباب ودوافع الاحتلال الروماني لمنطقة الشمال الإفريقي فإننا نجدها لاتخرج عن أي دوافع لأي غزو كان، إذ يمكن ملاحظتها في مجموعة من العوامل حيث ذهب بعض الباحثين إلى إعتبار أن الرومان هدفوا من خلال احتلالهم لشمال إفريقيا إلى القضاء على غريمهم الأول وهم القرطاجنيون ومحاولة إخراجهم من المنطقة د، وعلى هذا الأساس قدم الرومان إلى المنطقة مرغمين وذلك نظرا لسعيهم للإطاحة بدولة قرطاجنة، وكان بذلك احتلالهم للمنطقة كاهلا عليهم لا مصدر قوة حيث لم يستثمروا في ثروات المنطقة اقتصاديا بل اعتمادوا على الجانب العسكري في تحقيق مبتغاهم وهو القضاء على الحكم في بلاد المغرب العربي آنذاك.

كما أنه من دوافع الاستعمار الروماني للمنطقة هو وجود مجموعة من العوامل الاجتماعية التي فرضت نفسها على الواقع المعيش في إيطاليا خلال

الحروب الأهلية التي قامت فيها، وقد وعد قادتها الجنود بتمليك الأراضي بعد الانتصار في الحروب، وكذا شجع قياصرة الروم الهجرة لشمال إفريقيا والعيش فيها.

كما يعتبر العامل الاقتصادي من أهم العوامل المؤدية للغزو الروماني باعتبار منطقة أفريقيا ككل وشمالها بالأخص ذات أهمية تجارية وزراعية كبيرة، فأصبحت محط أطماع الحكام الرومانيين الباحثين عن الثروة والغنى، فالنشاط التجاري القائم بها من عهد الفينيقيين أحد أهم العوامل التي شجعت على الهجرة إلى أفريقيا والاستقرار بها، والعدة إلى احتلالها والاستثمار في خيراتها وأراضيها لخدمة الشعب والمملكة الرومانية.

وخلاصة القول أن تلك الدوافع السابقة التي شجعت الرومان على احتلال إفريقيا شجعت جميعا في دفع الاستعمار للبلاد، وإن اختلفت درجة أهميتها حيث أن الدافع الاقتصادي لعب دورا كبيرا في ذلك، من هذا المنطلق سخرت بقية الدوافع لخدمة هذا الهدف إذ أن وجود جماعة السماسرة من الرومان والتجار وأرباب السفن وأصحاب الحرف، أضف إليهم المعمرين الذين استولوا على إفريقيا وحولوها إلى إقطاعيات خاصة بهم، ويؤكد لنا الدافع الرئيسي للرومان من احتلال البلاد الرغبة في السيطرة على خيرات البلاد واستثمارها لصالحهم. (6)

2/ مراحل وسياسة التدرج في الاحتلال الروماني لبلاد المغرب:

الاحتلال الروماني لبلاد المغرب كان له مراحل متعددة يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

• **التعرف على المنطقة** :وكان ذلك خلال القرن الثالث قبل الميلاد حيث بدأ الرومان في هذه المرحلة بالتعرف واستكشاف بلاد المغرب وشمال إفريقيا، وذلك من خلال

الحروب البونيقية وكانوا يتعاملون مع سكان قرطاج قبل إبداء رغبتهم في الاستيلاء عليها واستيطانها.

• **الفتح العسكري** :وكان ذلك عن طريق إسقاط مملكة قرطاجنة سنة 146ق.م حيث طمس الرومان معظم ملامح قرطاج من خلال القضاء على العمران وكذا جميع ملامح الحضارة فيها من مكتبات وعلماء وآثار، وعملوا على نهب ثرواتها باعتبار المنطقة من اغنى المناطق آنذاك، فقد توفرت أسواقها بالمعادن والجواهر و الأقمشة النادرة والثمينة، وهذا ماكان مصدر أطماع حكام الرومان لاحتلالها والاستيلاء عليها.

• **تأسيس المقاطعات** :وفي مرحلة تم إنشاء مقاطعة موريتانيا عام 40 ميلادي والتي تشمل أجزاء من المغرب والجزائر، وتم تقسيم المنطقة إلى مقاطعتين موريتانيا القيصرية وموريتانيا الطنجية.

• **التوسع والاندماج** :وكانت في القرن الثاني ميلادي وشهدت هذه الفترة ازدهارا اقتصاديا وثقافيا، حيث تم إدخال العديد من العناصر الرومانية إلى المنطقة وأخذوا في الانتشار والتوسع في أرجائها وصولا إلى أقصاها.

• **التأثير الثقافي والإداري** :حيث بدأ الرومان في القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد في تطبيق نظامهم الإداري بعد التغلغل في منطقة الشمال الإفريقي، مما ادى إلى انتشار اللغة والثقافة الرومانية وتأثرت المجتمعات المحلية بالثافة الرومانية مع الاحتفاظ ببعض العادات المحلية.

• **الانهيار والتراجع** :مع تزايد الضغوطات الاقتصادية والاجتماعية اندلعت عدة ثورات ضد الاحتلال الروماني لعل أبرزها ثورة تاكفاريناس، وبهذا بدأت قوة روما في

التراجع بسبب الضغوطات العسكرية والاقتصادية مما أدى إلى فقدان السيطرة على المناطق الداخلية.